

## تخطيط هديني

## شارون روتبارد: تل أبيب «مدينة سوداء»

شارون روتبارد: مدينة بيضاء، مدينة سوداء - أسلوب بناء وحرب في تل أبيب ويافا.

Sharon Rotbard, white city, black city: architecture and war in tel aviv and jaffa. translated from hebrew: orit gat. pluto press 2015. 244 pp.

هذا المؤلف، الثري بمختلف المصورات، أثار غضب الصهاينة، لكن صدرت منه 26 طبعة بنصه الأصلي، أي باللغة العبرية. والكاتب، شارون روتبارد، أستاذ محاضر في «أكاديمية بلزئيل للفنون والتصميم» في فلسطين المحتلة، وصاحب مقعد الفنون المعمارية في «كلية كير» في الهند. موضوع الكاتب فضح طبيعة مدينة تل أبيب التي يدعي العدو أنها أول مدينة يهودية صافية أقيمت في العصور الحديثة [كذا]. يوضح عبر مؤلفه «مدينة بيضاء، مدينة سوداء - أسلوب بناء وحرب في تل أبيب ويافا» المفصل أن هذه المدينة أقيمت على حساب مدينة يافا الفلسطينية، عروس البحر، التي يقول علماء الآثار إن عمرها خمسة آلاف عام. الهدف هو استيعاب المدينة الفلسطينية ومحو آثارها. من المعروف أن تل أبيب أخذت اسمها من رواية تيودور هرتسل (Altneuland) بلاد عتيقة جديدة، وترجمها ناحوم سوكولوف إلى الإسرائيلية باسم

## منظومة أهنية



يفضح طبيعة تل أبيب التي يدعي العدو أنها أول مدينة يهودية صافية أقيمت في العصور الحديثة

في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 أقيمت عليها لاحقاً مستعمرة صهيونية وأطلقوا أيضاً عليها اسم رواية هي «باب الشمس» للكاتب اللبناني إلياس خوري. قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة أجزاء يحوي كل منها فصلاً عدة. الأول «المدينة البيضاء» مختصر خصصه للحديث عن تل أبيب ويوضح كيف أن تاريخ المدينة كتب قبل ولادتها، منذ القرن التاسع عشر. الجزء الثاني «المدينة السوداء»،

بنفاياتها في سماء المدينة والمواخير والكاميرات ومناجر الجنس ومقار الشرطة والسجون وما إلى ذلك. هذا حول المدينة إلى مقر للمهمشين والمدمنين على المخدرات. الكاتب يذكر القراء بأن تل أبيب حظيت بمجموعة من الجوائز بمقدار الجرائم التي ارتكبت بحق المدينة الفلسطينية العتيقة. كما يتعامل الكاتب مع الجانب الهندسي من تخطيط مدينة تل أبيب الذي يتم مواكباً السياسة القائمة على التدمير والبناء وهو المبدأ الذي يشكل جوهرها.

أما الصفة المدينة البيضاء، فتأتي من كونها تحوي أكثر الأبنية المقامة على طراز باوهاوس (Bauhaus) الألماني، لكن هذا أمر غير مؤكد لأنه حتى الآن لا تتوافر أي دراسة مقارنة عن الموضوع. الحقيقة أن طراز باوهاوس الذس أسسه وطوره كل من فالتر غريبوس ومسنز فان در روه، مفترض أنه بناء اجتماعي، لكن أسعار تلك الأبنية في مدينة تل أبيب لا علاقة لها بالبناء الاجتماعي، فأسعارها يحددها السوق والمضاربات العقارية.

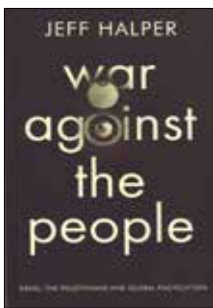
كل ما سبق عرضه هو حقائق معروفة، لكن الصهيونية، التي تبحث دوماً عن قشة تمسكها الشرعية الإيديولوجية، تمكنت من فرض اعتراف منظمة «اليونسكو» عام 2003 بكونها من مواقع التراث الإنساني، مع أن عمرها لا يتجاوز القرن، وعلى حساب مدينة يافا المحتلة التي بقيت مأهولة من دون انقطاع لمدة خمسة آلاف سنة. ومن الأمور الطريفة قيام ناشطين فلسطينيين عام 2013 بتأسيس مدينة خيام على أرض خاصة

تل أبيب، بمعنى تل الربيع، الاسم المأخوذ أصلاً من سفر حزقيال 15:3 القائل «فجئت إلى المسبيين عن تل أبيب الساكنين عند نهر خابور...»، والمعروفة تقليدياً بأنها منطقة واقعة في شرقي سوراقتا. المدينة - دوماً بحسب الكاتب - توسعت على حساب عروس البحر يافا عام 1948 عندما طرد الصهاينة عبر البحر أهلها، الذين بلغ عددهم عندئذ نحو مئة ألف نسمة. غرق كثير منهم، وقد ابتدعت اللغة الإنكليزية مفردة جديدة لوصف هذه الجريمة

المزدوجة هي (urbicide)، أي «الإبادة المدنية». عاش الكاتب فترة طويلة في المنطقة، ما أهله للحكم على طريقة توسع تل أبيب، الذي تم عبر تدمير البيئة التي نشأت مدينة يافا فيها. قام الصهاينة بإزالة التربة السوداء على عمق مترين بهدف وضع أسس مدينتهم الجديدة المسماة «المدينة البيضاء».

على سبيل المثال، يصف الكاتب بالتفاصيل كيف قامت عصابات إرغون بمحاصرة يافا عبر تكتيك عرف باسم «مصيدة الفار»، حيث أفلتت مداخل المدينة كافة وحاصرت أهلها الذين ألقى بهم في البحر وقضى الآلاف منهم في عملية التطهير العرقي التي قادتها العصابات الصهيونية. يشدد المؤلف على أن مصير أهلها لم يعرف إلى الآن. تدمير يافا، المدينة السوداء، تم عبر إخلاء كل ما هو غير مرغوب من تل أبيب، المدينة البيضاء، ومن ذلك تلال النفايات والتعميدات الصحية وأنابيب المجاري والمحولات الكهربائية عالية القدرة ومحطات الحافلات والمعامل التي تقذف

## جيف هالبر: العدو الصهيوني و«عولمة» فلسطين



أراضي الـ 1967 تشكل المعمل الأهم لتجاربه في حقل الدولة الأهنية

أنه بخصص نحو 8% من الدخل القومي للمجهود الحربي، أي أكثر من مصاريف واشنطن نفسها، ما جعل «مؤشر العسكرة العالمي / GMI» يصنفها منذ عام 2007 أكثر دول العالم عسكرة، علماً بأن المؤشر يعتمد على المقارنة بين الدخل القومي من جهة، ومن جهة أخرى الميزانية العسكرية وميزانية الصحة وأعداد القوات شبه

الهيمنة في العالم؛ مثلاً: مشاركة الاستعمارين البريطاني والفرنسي في العدوان على مصر عام 1956. ومع اختلافنا مع الكاتب في هذا الأمر، فتأسيس كيان العدو كان مشروعاً استعماريًا منذ البداية، كما بين إيلان بابيه في كتابه المعروف في هذا الملحق، إلا أننا نجد عرضه لتحوّله إلى مصدر لتقنية الأمن وتحوّله إلى دولة أمنية، مثيراً للاهتمام. يستذكر الكاتب تحذيرات الرئيس الأميركي السابق الجنرال آيزنهاور من تحول المجتمع الصناعي العسكري في بلاده إلى راسم لسياستها، وهو ما ينطبق عليه وعلى كيان العدو. يلحظ هيمنة خمس مؤسسات هي «العسكريتاريا» والمراقبة والاستخبارات والاستخبارات الداخلية وقوى حفظ النظام (MISSILE، military، internal security، surveillance، intelligence، law enforcement) على الولايات المتحدة وبقية دول الغرب الاستعماري. وكيان العدو تمكن من إتقان كل ذلك إلى حد الكمال من خلال تحويله الأراضي الفلسطينية المحتلة إلى معمل لتجاربه في هذه الميادين.

يشدد المؤلف على أن واشنطن هي التي تقود ما يسميه صناعة التطويق العالمية (pacification industrie)، لكن كيان العدو يعدّ متقدماً في هذه العسكرة. يشير إلى

الكاتب، أستاذ الأنثروبولوجيا، معروف في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 لمشاركته في إعادة بناء منازل الفلسطينيين التي هدمتها قوات العدو، وأيضاً بصفته عضو «اللجنة الإسرائيلية ضد هدم البيوت» (ICAHN).

مع أن سلطة محمود عباس أثبتت أخيراً مقدرتها على محاصرة الشعب الفلسطيني ومنعه من التحرك ضد العدو الصهيوني، إلا أن خبرة العدو الإسرائيلي في هذا المجال تبقى أوسع بكثير، ما جعلها مهمة لكل الأنظمة المثيلة له في العالم. فقد تمكن من تطوير منظومة تحكم في الأراضي الفلسطينية المحتلة صارت محل طلب الحكام الحريصين على حماية أنفسهم من غضب شعوبهم. وبكلمات مختصرة، تمكن العدو الصهيوني من «عولمة» فلسطين، أي جعل فلسطين في كل مكان. الكاتب يطلق على تلك المنظومة اسم securatic، أي «أمنقراطية»، وهي نحت من كلمتي أمن وديموقراطية. وصل الكاتب إلى استنتاجه عندما بحث في أسباب نفوذ كيان العدو العنصري في دول مثل الهند والبرازيل ونيجيريا، على سبيل المثال حيث لا مكان فيها للوبي صهيوني أو رشي أو صهيونية مسيحية للتأثير في السياسة. رأى أن السبب يكمن في أن الصهاينة ربطوا أنفسهم منذ البدايات بقوة

جيف هالبر: حرب على الشعب - إسرائيل والفلسطينيين والتطويق عالمياً

jeff halper, war against the people: israel, the palestinians and global pacification. pluto press, london 2015. 340 pp.